

# الخدمات الاجتماعية

وما ترمى إليه

بقلم الدكتورة نعيمة الأيوبي المحامية

دعاني إلى بحث هذا الموضوع ، حدائة عهد مصر به ، وخفاء معانيه وسراميه على أكثر الأذهان في بلادنا . ولجمهور المصري عذره إذا هو لم يستوعب معنى "الخدمات الاجتماعية" ، إذ ما دام الإنسان يعيش في مجتمع ، فقد يسبق إلى ذهنه أن كل عمل هو عمل اجتماعي ، أى أن أعمال السكك الحديدية ، والبريد ، والنقل ، والرعى ، والتنظيم ، والزراعة ، والطب ، والمحاماة ، وغيرها . كلها أعمال اجتماعية .

لكن "الخدمات الاجتماعية" لا تشمل هذا المعنى الواسع ، وإنما هي تعبير حديث ، أطلق منذ نحو ستة وثلاثين عاما على ما عرف حتى القرن التاسع عشر بأعمال الإحسان ، أو الإعانة ، أو المساعدة . والفرق بين هذا التعبير العام ، المعروف بأعمال الإحسان ، وبين التعبير الجديد المعروف في القرن العشرين "بالخدمات الاجتماعية" ، أن الإحسان كان قائم على مجرد الرغبة الطيبة في عمل الخير ، وأهم مظاهره توزيع النقود والمآكل على الفقراء ، وإنشاء الملاجئ للمعزة والأيتام ، ولقائمون بهذه المبرات في أكثر الأحيان هم أشخاص خيرون متطوعون . أما "الخدمات الاجتماعية" بوضعها الحديث ، فقدت على الرغبة في عمل الخير بطرق علمية منظمة حديثة ، وبعد بحث وإحصاء وتجارب . والإحسان كما عرف فيما مضى ، إنما كان يعنى بسد حاجات مؤقتة ، أو تقديم علاجات مسكنة ، فالفقير الذى يأكل اليوم لا يدري من أين يجود طعامه خدا .

أما "الخدمات الاجتماعية" فهى الجهود التى لا تقف عند هذا النوع من المسكنات ، تقدمها الى الأفراد والأسر بعد القيام بأبحاث اجتماعية عن حالتهم ، بل ترمى - فوق ذلك - الى تمكين هؤلاء الأفراد وتك الأسر من السير فى الحياة دون حاجة الى العون ، وذلك بأن تسدى اليهم مساعدة شافية لا موقوتة .

وعدا ما تقدم فالخدمات الاجتماعية ترمى الى وقاية الأفراد والأسر من الانحدار والاعطاط ، ومن المصائب والأخطار الاجتماعية ، كالأزمات ، والبطالة ، والفقير ، والفساد الخلقى ، ثم أنها تعمل ، بعد هذا وذلك ، على تحسين الحالة العامة ، والارتقاء بالمستوى الاجتماعى الى درجة أعلى وأفضل .

فإذا أصيب نامل بالنسل ، فمجهز عن العمل ، أخذت أسرته تعاني الفقر والعوز ، فإن عاطفة الإحسان الساذجة تكتفى فى هذه الحالة بإعطائها نقودا للضمام واللباس ودفع أجر

المسكني ، ولكن هذا لا يقلل عبثة تلك الأسرة ولا يضمن لها حياة آمنة مستقرة ، إنما الذي يضمن هذا هو "الخدمات الاجتماعية" فهي تبحث عن الأسباب فتعالجها ، وهي تنظم هنا الإحسان المبعثر ، وذلك بأن تعالج العامل المريض ليستعيد قوته وقدرته على العمل وعلى اكتساب الرزق . وتظل تعول أسرته لي أن يمه شفائه ، فإذا ما شفى علمته عملا بسيطا يتفق مع حالته الصحية الجديدة ، وهكذا تعود الأسرة شيئا فشيئا الى حالتها الطبيعية . وهكذا لا تكون المساعدة كما قلنا مجرد علاج مسكن ، بل تقويما لحياة الفرد والأسرة معا .

وتذهب "الخدمات الاجتماعية" الى حماية الأسرة ، فتراعى إسكانها في مسكن نظيف تدخله الشمس ، وتعلم أفرادها طرق الوقاية ، والحياة في الهواء الطلق ، وقد تذهب "الخدمات الاجتماعية" الى العمل على إنشاء جماعات تعاونية وصناديق تأمين وتوفير ، وملاعب رياضية وحمامات للسباحة ومراكز اجتماعية للثقافة ، ومن شأن هذا كله أن يحسن حال الأسرة ويسمو بمستوى الحياة .

ولقد تغيرت الفلسفة الاجتماعية في العصر الحديث ، فبعد أن كان الإحسان تفضلا من الخيرين يعود الفقراء الكسل والخمول ويشجعهم على الاستجداء ، ويقتل فيهم الكبرياء والكرامة ، أصبحت "الخدمات الاجتماعية" قائمة على التضامن الاجتماعي ، باحياء الضمير الاجتماعي ، وأصبح غرضها انتشال الفرد ، ليكون قادرا على حمل الأعباء ، وليقوم بصيبه من العمل في الحياة مصون الكرامة .

وبعد أن كان موقف الحكومات في هذا الميدان يكاد يكون سلبيا ، إذ كانت تكلفه الى نشاط الأفراد والجماعات ، أخذت تشعر بأنها ما دامت تطالب الفرد بالدفاع عن كيان الدولة في أزمان الحروب ، وتحمي منه الضرائب ، وتعاقبه إذا أفسد الأمن أو اقترف الجرائم ، فعليها له حقوق يجب أن تؤديها كما تؤدي بنية واجباتها المتصلة بالمواصلات والأشغال والتطعيم وغيرها . وهذه الحقوق تمس الفرد في صميم حياته ، في صحته ، في تربيته ، في حالته الاقتصادية ، وبالجملة في تمكنه من أن يحيا حياة طيبة . ولقد شعرت الحكومات بأنها في قيامها للأفراد بهذا الواجب الجديد الحيوي ، تحمي كيان الدولة من الفساد والانهار ، لأن الأفراد هم الذين يتكون منهم جسم الأمة ، فإذا انحط مستواهم المعيشي والتعليمي والخلقي والاقتصادي ، انحطت الدولة نفسها واضمحلت .

لذلك ساهمت الحكومات بقسط وافق في الخدمات الاجتماعية ، وأنشأت في مختلف الجهات مكاتب حكومية "للخدمات الاجتماعية" ، ووضعت القوانين وانتشريات وأقامت الكثير من المنشآت ، وقامت وزارات الشؤون الاجتماعية للإشراف على هذا النشاط وتوجيهه وتحسينه . وبعد أن كنا لا نجد من مظاهر الإحسان إلا توزيع الطعام والنقود على الفقراء والمساكين ، وإنشاء الملاهي للعجزة والأيتام واللقطاء ، أصبحنا نرى آلاف المنشآت

والأعمال الاجتماعية ، سواء قام بها الأفراد أو الجماعات أو الحكومات ، فرأينا ملاحج<sup>١</sup> للعاجزين ولنصم والبكم والعمى والكتع وسواهم ، يتعلمون فيها مهنا تكفهم الرزق .  
ورأينا منازل لإيواء الأطفال الرضع ، يتضون فيها النهار كله أثناء عمل أمهاتهم ، وللليل حباناً ، وأخرى تغير الرضع ، ومنازل لراحتهم والترفيه عليهم ، أو لاصطيفاهم ، ومستعمرات لحماية انضعاف منهم من الأمراض ، ومصحات لمن كان أبواه مصابين بالسل ، وأخرى للأطفال الشواذ أو المتأخرين عقدياً أو صحياً ، ومثلها للأطفال المحرومين من العطف الأبوي بسبب فساد جو الأسرة ، وإصلاحيات للجرمين الأحداث ، ومراكز لمراقبة رضاعة الأطفال وتوزيع الألبان الجافة والملابس عليهم .

ورأينا نشاط الحكومات في الأساليب الوقية ، من تعليم إلزامي لإنارة عقول جميع أفراد الشعب ، الى توسع في بث طرق الوقاية ، وفي إنشاء المستشفيات والمصحات للسبل الرئوى وغيره ، والمصحات المجانية ، والعيادات البسكولوجية في المدارس والسجون والأحياء ، ومنازل الولادة للعاملات والفقيرات ، والعيادات الخاصة لمكافحة الأمراض العامة أو الأمراض الاجتماعية المنتشرة ، وفي نشر نظام الزائرات الصحيات ، والمساءدات الاجتماعية ( وأولئك اختصاصيات درسن الخدمة الاجتماعية ثلاث سنوات ) .

وصدا ذلك ما تقوم به الحكومات من الخدمات للأفراد ، من التعليم المهني والتوجيه المهني ، ومساعدة الأسر الفقيرة الكبيرة العدد ، وإعطائها بعض الامتيازات في السكنى والسفر والنقل والمتاحف وغيرها ، وإنشاء الملاجئ الليلية لمبيت من ليس لهم محل إقامة ، وبناء المنازل الرخيصة ومسكن الراحة والاصطيف للعامل والفقراء ، والمستعمرات لإصلاح المرشدين وتعليمهم حرفاً تناسب حالتهم النفسية ، وتنظيم صناديق للتوفير والتعاون والتأمين سواء أكان إجبارياً شاملاً لجميع أفراد الدولة ، أم اختيارياً ، وسواء أكان للأفراد عموماً أم للعالم .

وقامت الخدمات الاجتماعية في المستشفيات والمصحات والسجون والمدارس والمصانع والمحلات التجارية ومسكن الطلبة والطالبات وأنديتهم ، ولأندية العامة ، والمطاعم الشعبية ، ومستعمرات عصبي المزاج ، والملاعب الرياضية ، ومراكز الاجتماعية في المدن وفي الريف ، الى غير ذلك مما يضيق المجال عن حصره ووصفه .

ولا يفوتني أن أذكر أن " الخدمات الاجتماعية " بوضعها الحديث ، قد استلزمت تعديل وإنشاء الكثير من القوانين الاجتماعية الخاصة بالفقراء والعامل والمرضى والمعجزة والمعجائر والأطفال والأحوال اشخصية من زواج وطلاق ونفقة وولاية ، ثم التأمين الاجتماعي ... الخ .

نعيمه الأيوبي